مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (١)
الإصدار الواحد والثلاثون
(١-٢٤) ٢٠٢٦

أثر الظّروف الحياتيّة وجودة الحياة في المسار الجامعي دراسة ميدانيّة على عيّنة من طلاّب المعهد العالي للّغات بجامعة قابس، تونس

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. كمال صمودة
جامعة قابس، تونس

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ يناير ٢٠٢٦م

الملخّص

أُجريت هذه الدّراسة الاستكشافيّة على ٣١٥ طالبا من المعهد العالي اللّغات بجامعة قابس في موفى السنة الجامعيّة ٢٠٢٥ و تناولت قياس مستوى رضا الطلاّب عن الظّروف الحياتيّة (التّغذية، النّقل، الدخل، السّكن، الصّحّة) و عن جودة حياة، إضافة إلى البحث في طبيعة العلاقة بين جودة الحياة و الظّروف الحياتيّة من جهة و بين جودة الحياة و المسار الجامعي من جهة أخرى. كشفت النّتائج انخفاضا عاما في الرّضا عن الظّروف الحياتيّة (بمتوسّطات بين 2,12 و 2,85)، وجودة حياة متوسّطة (2,86)، إلى جانب مستويات مرتفعة من التوتّر (4,26) والمشاعر السلبيّة (4,22). كما برزت ارتباطات قويّة بين جودة الحياة والتّغذية والصحّة والدّخل ($r > 0,64$)، وبينها وبين التّوازن الدراسيّ والدّافعيّة ($r > 0,6$). كما كشفت عن تباينات حسب الجنس (الرّضا أعلى لدى الطالبات) و الشعبة الدراسيّة (الأدنى في شعبة العربية)، و منطقة المنشأ (الأقلّ للطلاّب المنحدرون من الرّيف). تتّسق نتائج الدراسة مع نظريّات Maslow (الحاجات الأساسيّة) و Bronfenbrenner (التأثيرات البيئية) و Sweller (العبء المعرفي) و مع دراسات سابقة مثل OVE(2023) و Amamou & al. (2023).

الكلمات المفتاحية : رضا الطلاّب، الظّروف الحياتيّة، جودة الحياة، المسار الجامعي، التّعليم العالي.

Abstract

This exploratory study involved 315 students at the Language Institute in 2025. It focused on satisfaction with living conditions (nutrition, transportation, finances, housing, health) and overall quality of life, as well as the relationships between quality of life, living conditions, and academic path. Results indicated

generally low satisfaction with living conditions (means ranging from 2,12 to 2,85), moderate quality of life (2,86), high stress (4,26), and elevated negative emotions (4,22). Strong correlations emerged between quality of life and nutrition, health, and finances (r > 0,64), as well as with academic balance and motivation (r > 06). Notable differences appeared by gender (higher satisfaction among females), major (lowest in Arabic), and region (lower in rural areas). The findings align with Maslow's hierarchy of needs, Bronfenbrenner's ecological theory, and Sweller's cognitive load theory, as well as previous studies such as OVE (2023) and Amamou et al.(2023).

Keywords: Student satisfaction, Quality of life, Living conditions, Academic path, Higher education.

*** المقدّمة**

تعتبر مرحلة الجامعة إحدى أهم المراحل حساسيّة التي يمرّ بها الشاب ومنعطفا حاسما في حياته، إذ تتشكّل خلالها هويّته ودوره ومكانته في المجتمع وتتطور فيها رؤاه للعالم. بيد أنّ هذه المرحلة، التي تعتبر مجالا لاكتساب معارف ومهارات، ليست بمعزل عن السياقات المعيشية والاجتماعية التي ينتمي إليها الطالب، أين يواجه فيها عدّة تحدّيات قد تؤثّر في جودة الحياة الجامعية وفي مساره الجامعي. فالظروف الأكاديميّة تتقطاع وتتداخل مع شبكة معقّدة من ظروف الطالب الحياتيّة وتمثّل في تفاعلها محدّدا أساسيّا للمسار الجامعي. لم يعد النجاح الجامعي نتاج الانخراط الأكاديمي فقط أو التحصيل المعرفي، بل أضحى حصيلة تفاعل جملة من الظروف الحياتيّة التي تشكّل البيئة الحاضنة للتّجربة الطلّابيّة.

في السياق العالمي، تبيّن تقارير (OECD, 2022)[1] أنّ الظّروف الإجتماعيّة و الإقتصاديّة تعتبر عوامل حاسمة في النّجاح الجامعي، حيث ترتفع احتمالات تحصّل الطالب المنحدر من وسط عائلي ميسور على الشهادة الجامعيّة إلى الضعف مقارنة بالطالب المنحدر من وسط أقل حظّا. كما اشارت أرقام (OECD, 2023) أنّ ظروف السّكن تبرز كأهم العوامل المؤثّرة. فالطلاب الذين لا يحظون بسكن مستقرّ وصحّي وآمن أكثر تأخّرا في التخرّج بنسبة ٣٥٪ من غيرهم. ويرتبط هذا بشكل مباشر بالصحة النفسية حيث كشفت تقارير (WHO, ٢٠٢٢)[2] أنّ ٤٨٪ من طلاّب الجامعة حول العالم يعانون من أعراض التوتّر و مشاكل نفسيّة ناتجة عن ظروف السّكن الغير ملائمة. أما التغذية التي تمثّل عماد الصحّة الجسديّة و العقليّة، فقد اكّدت دراسة (WB, ٢٠٢٠)[3] أن الطلاّب الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائيّ أشدّ تعرّضا للفشل و للانقطاع الجامعي بمعدّل ٣٥٪.

وينعكس هذا الواقع العالمي بشكل واضح على الساحة الاوروبية، حيث تفيد دراسة فرنسيّة (OVE, 2023)[4] أنّ ٤٣ % من الطلاّب يشكون من توتّر نفسي

[1] منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية
[2] منظمة الصحة العالمية
[3] البنك الدوليّ
[4] المرصد الوطني للحياة الطلابية في فرنسا

مستمرّ و ٢٦٪ من أمراض جسديّة مزمنة، بسبب الضغوط الاجتماعيّة و الاقتصادية بالإضافة إلى أنّ ٥٢٪ منهم يزاولون عملا هشّا بدوام جزئيّ بالتوازي مع دراستهم الجامعيّة لمجابهة تكاليف الدراسة. فظروف العمل الهشّة والضغوط الماليّة وما ينتج عنه من ارهاق بدني ونفسي وسوء التغذية له انعكاسات على انتظامهم وتحصيلهم الدراسيّ.

لا يختلف المشهد في العالم العربي عن نظيره الأوروبي رغم الظّروف الاجتماعيّة والسياسيّة المغايرة، فتتميّز التّحدّيات الحياتيّة بخصوصيّة ثقافيّة واقتصاديّة. فهي تتّصف بانعدام الدّعم الإجتماعيّ اللاّزم والكافي. حيث افادت تقارير (الإسكوا، ٢٠٢٢)[٥] إلى أنّ ٦٠٪ من الطلاّب يعتبرون المشاكل الماليّة أنّها أكبر تحدّ يواجهونه، و هو ما انعكس سلبا على أدائهم الدراسيّ.كما أكّدت دراسة أجراها (BID, ٢٠٢١)[٦] على اتّساع الفجوة الرقميّة في صفوف الطلاّب، حيث صرّح ٣٠٪ من المستجوبين بالمنطقة العربيّة عدم امتلاكهم لحواسيب مناسبة ممّا حدّ من فرصهم في التعلّم عن بعد.

ولتقريب الصورة أكثر سنتناول في هذه الدراسة الحالة التونسيّة على وجه الخصوص باعتبار ريادتها في العالم العربي في مجال التعليم العالي.

رغم أهمّية هذا المبحث وخطورة هذه المؤشرات، فإن الدّراسات المتعلّقة بظروف الحياة الطلاّبيّة بالجامعات التونسيّة الداخليّة تظل شحيحة إن لم نقل منعدمة. ومن هنا تكتسي هذه الدراسة أهميّتها، إذ تروم إلى تقصّي الظروف الحياتية للطلاّب التونسيين بالمعهد العالي للغات بجامعة قابس وتحليل تأثيراتها على المسار الدراسي لفهم خصوصياتها وسدّ الفراغ البحثي القائم.

*** مشكلة الدراسة**

لا يمكن فهم واقع التعليم العالي في تونس بمعزل عن حياة الطلاّب اليوميّة. فبالرّغم من ريادة هذا القطاع من حيث عدد الخرّيجين وعراقة المؤسّسات التعليّميّة والبحثيّة، يعاني من أزمة بنيويّة عميقة، لا تكمن في ضعف مخرجاته فحسب، بل في الإنفصال التّام بين الاستراتيجيّات التعليميّة و واقع الحياة اليوميّة للطلاّب لا سيّما في الجامعات الداخليّة. فما يرفع من شعارات بأنّ الالتحاق بالجامعة هو فرصة تعليميّة متكافئة عبر مجّانية التّعليم والتوسّع الجغرافيّ المتسارع للخارطة الجامعيّة، يغدو في الممارسة مسار يومي من التّحديات المتشابكة، حيث يصبح السّكن، والغذاء، والتنقّل، والدّخل، والصّحة النفسية، والدعم الأسري، حلقاتٍ مترابطة في سلسلة واحدة تحدّد، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، قدرة الطالب على التحصيل والبقاء.

فخلال السّنة الجامعيّة ٢٠٢٤/٢٠٢٣ بلغ عدد الطلاّب في القطاع العمومي ٢٦٦٨٣٧ ، منهم ١٠١٨٣٤ طالبا ممنوحا (أي ٣٨٪ من المجموع)، و ٢٦٢٩ انتفعوا بقروض دراسيّة. يتوزّع الطلاّب على ١٣ جامعة تتكوّن من ٢٠٦ مؤسّسة تعليم عالي إضافة إلى إدارة عامّة للدراسات التكنلوجيّة تشرف على ٢٤ معهدا تكنولوجيّا. مع أنّ ميزانيّة الوزارة بلغت ٢٢٧٧ مليون دينار في ٢٠٢٤ (أي 3,8% من الميزانيّة العامّة و 1,38% من الناتج المحلي الخام)، فإنّ هذا التّمويل لا يواكب التوسّع الكمّي، و لا يتوافق و

[٥] اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

[٦] البنك الإسلامي للتنمية

الاحتياجات النوعيّة للحياة الطلاّبيّة (وزارة التعليم العالي، ٢٠٢٤).

فأصل المشكل لا ينطلق من قاعة الدرس، بل من خارجها. ففي ولاية قابس، إحدى أقطاب جامعة قابس في الجنوب الشرقي لتونس، سجّل بها ١٤٦٢٠ طالبا، لكن ٤٣٩٥ فقط (أي 30,1%) يستفيدون بالسّكن الجامعي (وزارة التعليم العالي، ٢٠٢٣/٢٠٢٤). ونتيجة لذلك، يجبر أغلب الطلاّب على اللإقامة بعيدا عن محيط الجامعة بحثا عن الايجارات المنخفظة، ما يتسبب في مضاعفة كلفة المعيشة ويطيل زمن التنقّل اليوميّ وهو عامل أثبتت دراسة (OECD. 2023) أنه يؤثّر سلبا في الأداء الأكاديميّ. إنّ بعد المسافة لا يمثّل عبئا زمنيّا فحسب، بل يعقّد أيضا الوصول إلى المطاعم الجامعيّة، التي تعاني في حدّ ذاتها من نقص حاد في طاقة الاستيعاب وضعف جودة الخدمات. فعلى المستوى الوطني، لا توفّر هذه المطاعم سوى ٧٤٠٣٢ وجبة يوميّا عبر ٨٢ مطعما، وفي قابس تحديدا، تقدّم ٦٩٤٥ وجبة عبر ٤ مطاعم فقط. وعندما يتعذّر الوصول إلى الأكلة الجامعيّة، يضطرّ الطلاّب إلى اقتناء أطعمة غير صحّية أو لا تتناسب مع ميزانيتهم المحدودة، هذا إن وجدت أصلا. وهنا يصبح الدّخل العائليّ عاملا حاسما: فغياب الدّعم الماليّ، وانعدام الإستقرار السّكنيّ، يولّدان ضغطا نفسيّا قد يتحوّل مزمنا. وتؤكّد دراسة (WHO, 2022) أن انعدام الأمن السكنيّ والماليّ يعدّ من أبرز مسبّبات القلق والاكتئاب لدى الطلاّب، خصوصا في ظلّ ظروف إقامة جامعيّة مترديّة تتميز بالإكتظاظ، وغياب الصيانة وتدنّي جودة الخدمات، وانعدام الأمن في محيطها.

ويستفحل الوضع مع ضعف الخدمات الصحيّة والنفسيّة داخل المؤسسات الجامعيّة. ففي المؤسسات الراجعة بالنظر إلى ديوان الخدمات الجامعيّة بالجنوب التونسي، والّذي يغطّي ولايات قابس، توزر، قفصة، صفاقس، تطاوين، قبلّي، ومدنين، لا توجد سوى ٢٢ اتفاقيّة صحيّة مع طبيب معين، و ١٥ خليّة إنصات و صحّة وقائيّة، كما قام الأخصّائيوّن النفسيّون بزيارات ميدانيّة لم تتجاوز ١٥ زيارة خلال سنة كاملة (وزارة التعليم العالي، ٢٠٢٣/٢٠٢٤). و هذا الشّحّ في الرّعاية النفسيّة يعمّق من آثار الضّغوط اليوميّة، و هو ما أكّدته دراستا (Dodd, A., & al., 2022; Li, W., & al., 2022) من خلال ربطهما المباشر بين الظّروف السّكنيّة الصّعبة و تراجع الصّحّة العامة للطلاّب.

ولا يقتصر الانعكاس على الصّحّة، بل يمسّ المسار الجامعيّ نفسه. فمع أنّ نسب الإنقطاع عن الدّراسة ظلّت منخفضة مقارنة بدول أخرى (بلغت 4,10% وطنيا و 1,01% في جامعة قابس)، فإن نسبة الرّسوب سجّلت مستويات مقلقة: 22,44% وطنيا، و26,05% في قابس، لتصل في مستوى السنة الأولى التي تخصّ الملتحقين الجدد بالجامعة إلى 39,93% (وزارة التعليم العالي ٢٠٢٢). هذه الأرقام لا تعكس فشلا فرديّا، بل فشلا جماعيّا في ربط التّعليم بظروف الحياة.

إن تقاطع ظروف الحياة من سوء التّغذية، إلى غياب الأمان في المسكن، وضعف الدّخل، وانعدام الدعم الأسريّ يؤثّر تأثيرا تراكميا في جودة النّوم، والصّحّة النّفسيّة، والدّافعيّة، قد يؤدّي في النّهاية إلى ضعف الاداء أو التعثّر

الأكاديميّ أو الإنسحاب الصامت. لذلك، يصبح من الضّروريّ التّسليم بأنّ جودة الحياة ليست هامشا، بل جوهر التّجربة الطّلاّبية. فالسّكن لا يفكّر فيه دون ربطه بالنّقل، والنّقل لا يفهم بمعزل عن جودة التّغذية، والتّغذية لا تؤثّر وحدها دون تداخلها مع الاستقرار المالي والنّفسي، والصّحّة النّفسيّة لا تعالج دون إسناد مؤسّسيّ فعّال. كل عامل من هذه العوامل يغذّي الآخر، في شبكة معقّدة تبني أو تهدم مستقبل الطالب.

*** أسئلة الدراسة**

بناءا على هذه الاشكاليّة يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال المركزي التالي: –

ما طبيعة العلاقة بين الظّروف الحياتيّة للطّالب و بين جودة حياته و مساره الجامعي؟

تتفرّع عن السّؤال المركزي الأسئلة البحثيّة التالية:–

١– ماهي مستويات الرّضا عن الظّروف الحياتيّة عند الطلاّب؟

٢– ماهي مستويات الرّضا عن جودة الحياة ؟

٣– ما الدّور الذي تلعبه جودة الحياة بين الظروف الحياتيّة والمسار الجامعي؟

*** فرضيّات الدّراسة**

تستهدف الدراسة فحص الفرضيّات التالية: –

١– مستوى رضا الطّالب عن الظّروف الحياتيّة يرتبط إيجابيّا بدرجة جودة الحياة لديه.

٢– هناك علاقة إيجابيّة بين درجة جودة حياة الطّالب ومساره الجامعي.

٣– جودة حياة الطّالب متغيّر وسيط بين الظّروف الحياتيّة والمسار الجامعي.

*** أهداف الدراسة**

١– الكشف عن أثر الظّروف الحياتيّة في جودة الحياة الطلاّبية وفي المسار الجامعي لعيّنة من طلاّب المعهد العالي للّغات بجامعة قابس.

٢– رصد مستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة التي يعيشها طلاّب المعهد العالي للّغات بقابس (السّكن، النّقل، التغذية، الدّخل، الصّحّة، وسائل التكنولوجيا الرقميّة)

٣– دراسة تأثير الظّروف الحياتيّة على مستوى رضا الطلاّب عن جودة الحياة ومدى انعكاس ذلك على المسار الجامعي.

٤– استكشاف التباينات المحتملة في تأثير الظّروف الحياتيّة حسب الجنس والتخصّص والأصل الجغرافي للطلاّب.

٥– اقتراح آليّات وبرامج دعم جامعيّة ومجتمعيّة لتحسين ظروف عيش الطلاّب وتجويد حياتهم وتعزيز فرص المثابرة والنجاح الجامعي.

*** أهمّيّة الدراسة**

*** على المستوى النظري**

١– تساهم الدّراسة في إثراء المعارف العربيّة والتونسيّة المتعلّقة بمبحث الظّروف الحياتيّة للطلاّب وتأثيراتها في جودة الحياة والمسار الجامعي في ظلّ نقص الدّراسات الميدانيّة التي تناولت هذا الموضوع في الجامعات الناشئة والدّاخليّة.

٢– تربط بين النظريّات العالميّة وخصوصيّة السّياق التونسي، مما يمكّن من تطوير فهم محلّي لهذه النّماذج النّظريّة.

٣- تقدّم أساسا علميّا لتصوّر نموذج تفسيريّ تونسيّ للعلاقة بين المتغيّرات الذاتيّة والبيئيّة والمسار الجامعي.

*** على المستوى التطبيقي**

١- تمكّن مخرجات هذه الدّراسة أصحاب القرار من تصوّر وتنفيذ سياسات واستراتيجيّات الدّعم الفعّالة للطلاّب ذوي الظّروف المعيشيّة الصعبة.

٢- تسهم في تحسين جودة الحياة الجامعيّة عبر اقتراح حلول عملية تتعلق بالسّكن والنّقل والمنح الجامعيّة والصّحّة النّفسيّة.

*** حدود الدراسة**

١- الحدود الزمانيّة: السنة الجامعيّة ٢٠٢٤/٢٠٢٥.

٢- الحدود المكانيّة: عينة من المعهد العالي للغات بجامعة قابس.

٣- الحدود البشريّة: لقد كان معيار المشاركة في الإستبيان هو التسجيل الإداري بالمعهد العالي للّغات بقابس وقد شارك في الاستبيان ٣١٥ طالبا وقد تمّ نشر الاستبيان على مواقع مجموعات الطلاّب عبر وسيلة التواصل الإجتماعي الفايسبوك.

٤- الحدود الموضوعيّة: التحقّق من درجة رضا الطالب على الظّروف الحياتيّة ومدى انعكاس ذلك على جودة الحياة وعلى مساره الجامعي.

*** الإطار النّظري والدّراسات السابقة**

*** تعريف المصطلحات**

١- الظّروف الحياتيّة

لغة: الظّرف في اللّغة هو الحال أو الوضع الذي يحيط بالإنسان ويؤثّر في سلوكه أو أدائه. تشمل الظّروف الحياتيّة مجموع الأحوال و الملابسات التي يعيش في إطارها الفرد بما في ذلك ما يرتبط ببيئته المعيشيّة اليوميّة.

اصطلاحا: الظّروف الحياتيّة هي كلّ العوامل الماديّة والاجتماعيّة والبيئيّة التي تميكل حياة الفرد اليوميّة، مثل السّكن والدّخل والتغذية والصّحّة والنّقل والدّعم الاجتماعيّ. وينظر إليها في الأدبيّات بوصفها مكوّنا جوهريّا من مكوّنات جودة الحياة، وتعدّ الأساس الذي يحدّد مستوى الرفاه (Pacione, 2003).

يوضح تقرير (WHO, 2023) أنّ الظّروف الحياتيّة تتضمّن البيئة الماديّة و الّسكن و التّعليم و الوظيفة و الدّخل و العلاقات الاجتماعيّة، وهي عوامل رئيسيّة تحدّد الصّحّة والرفاهيّة.

إجرائيّا: في هذا البحث، تقاس الظّروف الحياتيّة من خلال مؤشّرات عمليّة تشمل: البيئة العائليّة، الرضا عن السّكن وعن ظروف النّقل وعن الوضع المالي وعن التغذية وعن الصحّة. كما تتناول الدراسة دورها في تحديد جودة حياة الطالب ومساره الجامعي.

٢- جودة الحياة

لغة: تفيد جودة الحياة مستوى ما ينعم به الإنسان من راحة ورفاه وصحّة ورضا عام عن حياته.

اصطلاحا: يعرّف (WHOQOL Group, 1995) جودة الحياة بأنّها إدراك الفرد لموقعه في الحياة ضمن سياقه الثّقافي والاجتماعيّ وفي ضوء توقّعاته وأهدافه واهتماماته. وقد اعتمدت منظّمة الصّحة العالميّة هذا التّعريف مرجعا في البحوث النفسيّة والاجتماعيّة.

كما يوضّح (Mercier, C. & Filion, J. 1987) أنّ جودة الحياة مفهوم متعدّد الأبعاد ويغطّي الجوانب الجسديّة والنفسيّة والاجتماعيّة والبيئيّة.

إجرائيا: في سياق هذه الدّراسة، تعرّف جودة الحياة بأنّها مدى شعور طلاّب المعهد العالي للّغات بقابس بالرّضا العام عن ظروفهم الحياتيّة كالسّكن والتّغذية والنّقل والموارد الماليّة والصّحّة الجسديّة والنّفسيّة والعلاقات الاجتماعيّة باعتبارها مؤشّرا على اندماجهم ودافعا للنّجاح.

٣- المسار الجامعي

لغة: المسار هو الطريق أو الاتّجاه الذي يسلكه الشّخص للوصول إلى هدفه.

اصطلاحا: يعرّف (Tinto, 1993) المسار الجامعي باعتباره مجموعة المراحل التعليميّة والتفاعلات الأكاديميّة والاجتماعيّة التي يمرّ بها الطّالب في التعليم العالي، بما تتضمّنه من تحصيل علمي وتكيّف اجتماعيّ. ويضيف بأنّ المسار الجامعي سلسلة من التّفاعلات والخبرات الأكاديميّة التي يمرّ بها الطّالب خلال سنوات تكوينه بالجامعة، ويشمل الالتحاق والانتظام والتغيرّات في التخصّص والأداء والتّخرّج. وترى الأدبيّات الحديثة أنّ المسار الجامعي Trajectory يتأثّر بعوامل شخصيّة وبيئيّة ومؤسّسيّة و يؤكّد (Khatri & al., 2024) أنّ المسارات الجامعيّة غالبا ما تكون معقّدة وتظهر فيها الانقطاعات والتغيّرات بسبب عوامل حياتيّة وضغوط شخصيّة.

إجرائيا: يقاس المسار الجامعي في هذه الدّراسة من خلال مؤشّرات مثل: المشروع الدراسيّ والمهنيّ للطّالب، التخصّص، الدافعيّة، الإندماج في الحياة الجامعيّة، الأداء.

*** الإطار النّظري للدراسة**

١- نظريّة ماسلو للحاجات الإنسانيّة (Maslow, 1943)

يوضّح هرم (Maslow, 1943) علاقة التفاعل بين الحاجات الأساسيّة للطالب وجودة تعلّمه. فالحاجات الفسيولوجيّة مثل الأكل والنّوم والصحّة، وحاجات الأمن مثل استقرار السّكن والنّقل الآمن، يجب أن تشبع قبل أن يتمكّن الطّالب من التّركيز على الجوانب الاجتماعيّة والأكاديميّة الأعلى مستوى، مثل الانتماء الجامعيّ وتقدير الذّات تحقيق الذّات (Maslow, 1943). عمليّا فأيّ قصور في هذه الحاجات الأساسيّة ينعكس حتما على جودة الحياة الجامعيّة والقدرة على التكيّف وارتفاع مستوى التوتّر وصعوبة في التركيز وضعف في التحصيل الأكاديميّ، ما يجعل دراسة الظروف الحياتيّة أمرا أساسيا لفهم مسار الطالب الجامعي

٢- النّظريّة البيئيّة للنّظم (Bronfenbrenner, 1979)

تشرح هذه النّظريّة كيفيّة نموّ الإنسان وتطوّره صلب جملة من الأنظمة البيئيّة المتداخلة. تتركّز فكرتها الأساسيّة أنّ الإنسان لا يعيش بمعزل عن محيطه، بل يتأثّر بسلسلة مترابطة من النّظم، من الأقرب إليه إلى الأوسع. فالطّالب حسب هذه النّظريّة لا يتطوّر داخل فراغ، بل داخل شبكة من العوامل البيئيّة المتفاعلة والمعقّدة. كل مستوى من

هذه البيئة يترك أثره في جودة حياة الطّالب وعلى طريقة تقدّمه في الدراسة. تتمثّل النظم الأساسية حسب هذه النظريّة في: –

١- المايكروسيستم: يتكوّن هذا النّظام من مجموع عناصر الحياة اليوميّة القريبة من الطّالب وتشمل الأسرة والمؤسّسة التعليميّة والأصدقاء وأعضاء هيئة التّدريس. فعندما يتلقّى الطّالب دعما من عائلته واستقرارا في علاقته بهم وتعاونا من مدرّسيه وقادرا على بناء علاقات اجتماعية صحّيّة يرتفع مستوى جودة حياته وتخلق بيئة محفّزة للتّحصيل والنجاح. في حين لو كان يعاني من ضغوط أسريّة أو علاقة متوتّرة أو لا تواصليّة مع إطار التّدريس، أو يعيش عزلة اجتماعيّة، غالبا ما ينعكس ذلك سلبا على مستوى دافعيّته وتركيزه وأدائه.

٢- الميزوسيستم: يمثّل هذا النّظام نوع العلاقة بين هذه العناصر. كلما كانت الروابط متينة ومنسّقة، ارتفعت حظوظه في الاستقرار النّفسي والدّراسيّ. ضعف التنسيق المتمظهر مثلا في انعدام التّواصل بين العائلة والمؤسسة التعليميّة قد يؤدّي إلى شعور الطالب بالإحباط.

٣- الإكزوسيستم: يتشكّل هذا النّظام من الظّروف التي تؤثّر في الطالب دون أن تكون له مشاركة مباشرة فيها. كالوضع المهني والمادّي للوالدين ونظام المؤسسة الداخلي ودور الإعلام في توجيه الرأي العام حول المدرسة أو قيمة الشهائد العلميّة. فإذا واجه أحد الوالدين ضغوطا مهنيّة قد يظهر أثره على المناخ العائلي وبالتّالي على شعور الطالب بانعدام الأمان والدّعم وهو ما سينعكس مباشرة على جودة حياته ويشكّل عبئا على دراسته.

٤- الماكروسيستم: يشمل هذا النّظام مكوّنات الثّقافة المجتمعيّة السائدة ونظام التّعليم والقيم والرّموز والظّروف الاقتصاديّة العامّة.ففي بعض السّياقات الثقافيّة يسلّط الضّغط على الطالب و تحدّد قيمته حسب انجازاته فقط، وهذا قد يزيد من توتّره و يخفّض من جودة حياته رغم تفوّقه. بينما في سياقات أخرى هناك سعي متواصل لتحقيق التّوازن بين الحياة الشخصيّة والدّراسيّة، وهذا غالبا محفّز للطالب ويمنحه مستوى أعلى من الرفاهيّة ويدفعه إلى تحقيق مسار دراسيّ صحّيّ.

٥- الكرونوسيستم: يغطّي هذا النّظام البعد الزّمنيّ وما يشمله من تحوّلات كالتّغييرات الحاصلة في تركيبة العائلة (طلاق، وفاة) أو في بيئتها (الانتقال إلى مكان إقامة جديد) أو أزمات إجتماعيّة أو اقتصادية (ارتفاع نسب بطالة الخرّجين) أو كوارث طبيعيّة أو بيئيّة. هذه الأحداث تشكّل منعطفات قد تعزّز أو تعيق المسار الجامعي للطالب.

٣- نظريّة العبء المعرفي (Sweller, 1988)

تقدّم هذه النّظريّة المعرفيّة التي تهتمّ بمعالجة المعلومة وتعلّمها تفسيرا لكيفيّة انعكاس الظّروف الحياتيّة على التحصيل الدراسيّ. يوضّح (Sweller, Ayres, & Kalyuga, 2011) أنّ للذّاكرة العاملة حدودا في سعتها و في معالجتها للمعلومة و زمن تخزينها وأنّ أيّ أعباء إضافيّة خارجيّة كالضّوضاء في السّكن و الأرق أو عدم انتظام النّوم و طول زمن التنقّل و القلق المالي و نظام غذائي غير صحّي، تستهلك مواردها و تزيد من الأعباء الغير ضروريّة و تحدّ من القدرات الذّهنيّة المخصّصة للتعلّم الفعّال. وبالتالي فإنّ تفاقم هذا العبء يؤدّي إلى انخفاض التّركيز، و تعثّر الأداء، و عدم

القدرة على تملّك المعرفة اللاّزمة. هكذا توضّح هذه النّظريّة كيف أنّ الظّروف الحياتيّة السيئة تؤثّر سلبا على المسار الجامعي للطالب.

*** الدراسات السابقة**

١- دراسة [٧](OVE , 2023)

تبحث هذه الدراسة التي أجراها المرصد الوطني للحياة الطلاّبية بفرنسا في ظروف حياة الطلّاب في الجامعات الفرنسيّة. اعتمد الباحثون على مسح وطني، بواسطة استبانة، شمل ٤٩٥٢٣ طالبا في مختلف الجامعات والمقاطعات. تمحورت بنوده حول ظروف الحياة الطلاّبيّة، وتناول بالتقصّي الخصائص السوسيوديمغرافيّة للمستجوبين والتخصّص والعادات اليوميّة والاندماج الجامعي والانتظارات والتّمييز والشغل الموازي للدراسة والسّكن والدّخل والوضعيّة الماليّة والتّغذية ومقوّمات الرفاهيّة والصحّة. أظهرت النتائج أنّ ٤٤٪ من الطلاّب يمارسون نشاطا مهنيّا بالتوازي مع الدراسة لمجابهة النفقات اليوميّة ممّا انعكس سلبا على زمن الدّراسة والتّرفيه. حيث كشفت الدراسة أنّ ٢٠٪ من الطلاّب يشكون من صّعوبات ماليّة تعيق تأمين الاحتياجات الأساسيّة كالأكل والايجار. كما أظهرت أنّ متوسّط الإيجار للطلاّب هو ٥٧٦ يورو شهريّا في حين أنّ ثلث الطلاّب فقط يقيمون مع عائلاتهم. كما اشارت الدّراسة أنّ ١٣٪ من الطلاّب لا يملك ما يفي بحاجتهم من الطّعام و أنّ ٢٢٪ لا ينتظمون في وجباتهم اليوميّة، لضيق الوقت أو لضعف الموارد. وهو ما أثّر كذلك على وضعهم الصحّي. حيث أنّ ٣٤٪ من الطلاّب تخلّوا عن الرّعاية الصّحيّة لأسباب ماليّة. كما كشفت أنّ ٣٦٪ منهم بدا عليهم أثار اضطرابات نفسيّة، مع ارتفاع ملحوظ عند الإناث ٤٤٪ والأجانب ٤٢٪. كما اهتمّت الدّراسة بقياس منسوب التمييز العنف بين الطلاّب. فقد صرّح ١٩٪ منهم بتعرضهم إلى معاملات سيّئة داخل الحرم الجامعي وأنّ ١٠٪ منهم تعرّضوا للتحرّش أو للعنف الجنسي خلال مسارهم الجامعي. بالرغم من صعوبة الظّروف الحياتيّة والدراسية إلا أنّ ٣٣٪ من الطلاّب راضون عن اندماجهم في الحياة الجامعيّة، كما صرّح ٦٤٪ منهم برضاهم عن تجربتهم الجامعيّة الحاليّة، رغم التفاوت الكبير في بعض الإختصاصات. واعرب ٥٤٪ من طلاّب الإجازة عن عزمهم مواصلة الدراسة لنيل شهادة الماجستير. بناء على ما سبق تؤكّد هذه الدراسة المسحيّة أنّ الطلاّب محدودي الموارد المالية و الذين لا يحضون بدعم كاف يشكون من ضغوط نفسيّة مرتفعة ممّا أثّر على أدائهم الدراسي.

٢- دراسة (Michaut, 2023)

قدّم هذا البحث جردا نقديّا شاملا لأهمّ الدّراسات التي تركّز موضوعها حول العوامل المؤثّرة في النّجاح والرّسوب والانقطاع الجامعي في فرنسا. صنّفت الدراسة هذه العوامل في خمس مجموعات.

*** الخصائص الإجتماعية والديموغرافيّة**

الجنس: معدّل نجاح الاناث أكبر من الذّكور في أغلب التخصّصات.

الأصل الاجتماعيّ والثقافيّ: تظهر أغلب البحوث إلى أنّ الأصل الاجتماعيّ يؤثّر بشكل غير مباشر في النتائج الدراسيّة. تبرز آثاره في المسار الدراسي من خلال توفّر الموارد الماليّة

[٧]المرصد الوطني للحياة الطلاّبية

والثقافيّة وتشكيل التوقّعات الأسريّة والمجتمعيّة للتعليم وتوجيه فرص التعلّم التي من شأنها ان تحدد مسار الطالب

*** المسار الدراسي السّابق**

يعتبر من أهمّ المؤشّرات المساهمة أو المعيقة لنجاح الطالب، خاصة في التخصّصات التي تتطلّب مكتسبات قبليّة متينة. كما أن نوع شهادة البكالوريا والمعدّل التراكمي يلعبان دورا حاسما في ذلك.

*** ظروف الحياة**

حسب الباحث فقد أكّدت الدراسات أنّ من أهمّ عوامل الفشل بالجامعة هو ضعف الموارد الماليّة وانعدام الدعم من العائلة أو من الهياكل المختصّة. حيث يضطر الطالب الى العمل أثناء الدّراسة فيؤثّر ذلك سلبا على مساره الجامعي ويطيل من مدّة الدراسة ويعمّق مخاطر الانسحاب الصامت.

*** طرق الدراسة**

استراتيجيات التعلّم: ادارة الوقت، المثابرة، واستراتيجيّات التعلّم "العميقة" (القراءات التكميليّة، المراجعة المنتظمة).

الدافعية: تقدير الذات و الثقة في الكفاءة الذاتيّة.

الاندماج الأكاديمي والاجتماعي في البيئة الجامعيّة: يلعب دورا هاما في المثابرة على الدراسة.

السّياق المؤسّسيّ: لاحظ الباحث تباين النتائج والقيمة المضافة باختلاف الجامعات والمؤسسّات. وهو ما يدلّ على تأثير السياق المؤسّسي كالموارد، التّنظيم، الحوكمة، مقاربات الجودة الشاملة وآليات الدعم والاسناد. خلص الباحث في نهاية المقال إلى أنّ الأبحاث اهتمّت بالعوامل الفرديّة واهملت العوامل السياقيّة والمؤسّسيّة فأوصى بمزيد تعميق البحوث في فرنسا حول تأثير الموارد الماليّة والبشريّة للجامعات في نتائج الطلاّب.

٣- دراسة (Amamou & al., 2022)

أجرى الباحثون دراسة وصفيّة موضوعها قياس مستوى مؤشّرات الإكتئاب لدى طلاّب الطبّ بجامعة سوسة سنة ٢٠١٨ وتهدف إلى استكشاف أسبابه. تضمّنت العيّنة 202 طالبا من مختلف المستويات الدراسية والتّخصّصات، وتمت عمليّة القياس باستخدام مقياس (HADS)، وهو أداة قياس نفسي معتمدة عالميّا لتحديد شدّة الأعراض الاكتئابيّة. كشف هذا المقياس أنّ 36,1% من الطلاّب يعانون من أعراض الاكتئاب الحادّ. يعتبر هذا المعدّل مرتفعا ويدلّ على شيوع هذه الاضطرابات عند هذه الفئة من الطلاّب. وأوضحت الدّراسة اقتران أعراض الاكتئاب بعوامل ديموغرافيّة وسلوكيّة ونفسيّة، أهمّها: -

١- الاناث أكثر عرضة للتّوتّر مقارنة بالذّكور.

٢- مستوى اجتماعي - اقتصادي منخفض.

٣- تعاطي التّدخين.

٤- أثار الماضي النّفسي.

٥- نقص ممارسة الرّياضة وانعدام فرص التّرفيه.

٦- عدم الرّضا عن التّخصّص.

٧- انخفاض الشّعور الذّاتي بالسّعادة.

تؤكّد نتائج هذه الدّراسة أنّ أعراض الاكتئاب ليست نتاج الضّغوط الأكاديميّة فقط بل تنبع من التّفاعلات المعقّدة بين عوامل شخصيّة واجتماعيّة واقتصاديّة ومهنيّة. كما أضهر البحث الحاجة الملحّة إلى اعتماد برامج الدّعم النفسيّ

المتطوّرة والموجّهة داخل الكلّيّات، مم يعزّز لدى الطلاّب القدرة على التكيّف والاندماج، وتوفّر لهم فظاء آمنا للتّعبير عن الصّعوبات التي تعترضهم خلال مسارهم الدراسي، فضلا عن مراجعة آليّات التّوجيه الجامعي. تخلص الدّراسة إلى أنّ هذا الطالب هو طبيب المستقبل، فإنّ عدم مرافقته أو الاهتمام بصحّته النّفسيّة لا يهدّد رفاهيّته الفرديّة فحسب، بل قد يؤثّر أيضا على جودة الرّعاية الصحيّة التي سيقدّمها مستقبلا. ومن ثمّ أوصت الدراسة لمعالجة هذا الوضع الحرج الناشئ بوجوب وضع استراتيجيّات وآليّات مؤسّسية منظّمة تجمع بين المتطلّبات الأكاديميّة والدّعم النفسيّ وتعزيز جودة الحياة الجامعيّة.

٤- دراسة (Goldrick-Rab & al., 2017)

قدّمت هذه الدّراسة تحليلا شاملا حول انعدام الأمن في الحاجات الأساسيّة بين طلاّب الجامعات الأمريكيّة. شارك في هذا البحث حوالي ٨٦٠٠٠ طالبا موزّعين على ١٢٣ مؤسّسة تعليميّة، في القطاع العمومي والخاصّ وهو مايضمن تمثيلا أوسعا للمجتمع الطلاّبي الأمريكي.كشفت نتائج الدراسة أنّ ٤٥٪ من الطلاّب صرّحوا بتكرار وضعيّة انعدام الأمن الغذائيّ لديهم خلال الشّهر السّابق للمسح، في حين كشف ٥٦٪ منهم بأنّ وضعهم السّكني خلال العام المنقضي غير مستقرّ حيث اعترف عدد كبير منهم بتشرّدهم، أو النّوم في مكان غير آمن أو التّناوب في اللّجوء عند أصدقائهم. وأشارت النّتائج إلى تباين ملحوظ بين المؤسّسات والميادين التعليمية والخلفيات العرقيّة والاجتماعيّة وتتعمّق الأزمة لدى الطلاّب ذوي المسؤوليّات العائليّة. وتؤكّد الدّراسة على وجود علاقة قويّة ومعنويّة بين انعدام الأمن في الحاجات الأساسيّة (كالتّغذية والسّكن) والفشل الجامعي. فأغلب المتضرّرين صرّحوا انّهم رسبوا أو فكّروا في الانقطاع عن الدراسة لارتفاع مستوى التوتّر والضّغوط النفسيّة الناتجة عن الصعوبات المعيشيّة التي يمرّون بها. انطلاقا من هذه النّتائج المقلقة، دعا الباحثون إلى استجابة فعّالة من مؤسّسات التّعليم العالي وسلطة الإشراف، واقترحوا عددا من التّوصيات العملية كان أبرزها: -

١- إنشاء مكاتب مختصّة تتولّى رعاية الطلاّب وتقييم احتياجاتهم واسنادهم.

٢- الرّفع من الاعتمادات المخصّصة لإعانة الطلاّب وتيسير الإجراءات.

٣- تعزيز الشّراكة مع المجتمع المدني مثل بنوك الإطعام وممؤسّسات الإيواء لسدّ فجوات الدّعم الحكومي.

٤- الرفع في المنح والمساعدات الماليّة لتكون أكثر شموليّة وتراعي التّكاليف الحقّيقيّة للمعيشة.

ويعدّ هذا التّقرير نقطة تحوّل في النّقاش حول تجربة الطلاّب في الجامعة، إذ يبيّن أنّ الفشل في الإستجابة لحاجات الطالب الأساسيّة يمثّل عائقا أساسيّ أمام العدالة التعليميّة، ويدعو إلى اعتبار الأمن الغذائي والسّكني جزءا لا يتجزّأ من بيئة التعليم الجامعي.

*** التعقيب على الدّراسات السابقة**

على الرّغم من تعدّد الدّراسات التي تتناول جودة الحياة و الظروف الحياتيّة و الدراسيّة لدى طلاّب الجامعة في المنطقة العربيّة، مثل دراسة (Amamou & al.,

(2023التي اهتمّت بانتشار حالات الاكتئاب بين طلاّب الطبّ في تونس، فإنّ معظم هذه الأبحاث ركّزت على لجوانب النفسية البحتة أو على العوامل الأكاديميّة الصرفة. وغالبا ما تعالج الضّغوط الدراسيّة أو الإرهاق أو قلق الإمتحانات بمعزل عن العوامل الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تلعب دورا رئيسيا في رسم التّجربة الجامعيّة. غير أنّ الدّراسات الغربية الحديثة مثل تقرير (Goldrick-Rab & al.,2017) تؤكّد أنّ الأوضاع المعيشيّة اليوميّة للطلاّب (الأمن الغذائيّ، السّكن المستقرّ، الموارد الماليّة الكافية) في ارتباط عميق بالصّحة النّفسيّة والإندماج الإجتماعي و الأكاديمي. هذا التّكامل في التّحليل ما يزال محدودا في السّياق العربي عامّة والتّونسيّ خاصّة حيث نادرا ما تدرج عوامل أخرى مثل الدّخل العائلي، العمل بالتوازي مع الدراسة، جودة السّكن واستقراره، أو الأمن الغذائيّ ضمن النماذج التحليليّة الخاصّة بالظروف الحياتيّة للطالب وتاثيرها في مساره بالجامعة. إنّ غياب هذا الدّمج الشامل يجعل الصّورة البحثية غير مكتملة، ويؤدّي إلى فهم جزئيّ لطبيعة الضّغوط التي يواجهها الطلاّب. وبالتّالي تبقى آليّات التدخّل والدّعم داخل الجامعات العربيّة غالبا غير مجدية، لأنّها تعتمد نماذج لا تغطّي تعقيد التّجربة اليوميّة للطّالب، ولا تفسّر الصّعوبات النفسيّة التي قد تكون امتدادا مباشرا للصّعوبات المالية والمعيشيّة.

*** منهجيّة الدراسة**

١- منهج الدراسة

اتّبعت الدراسة الحاليّة في جمع البيانات على المنهج الوصفيّ التفسيري مع التحليل الكمّي نظرا لكونه الأنسب في دراسة الظواهر التربويّة ولطبيعة الموضوع والشّريحة المستهدفة وذلك لضمان حصولنا على فهم أشمل لدرجة رضا الطلاّب عن ظروفهم الحياتيّة وجودة الحياة ومدى تأثير ذللك في مسارهم الجامعي. سيقع تحليل هذه البيانات وفق نظريّة ماسلو للحاجات الإنسانيّة (Maslow, 1943) والنظرية البيئيّة للنّظم (Bronfenbrenner, 1979) ونظريّة العبء المعرفي(Sweller, 1988) .

٢- مجتمع الدراسة وعينته

الجدول (١): مجتمع الدراسة

المستوى الدراسي	العدد الإجمالي	%
الإجازة	1643	90,27
الماجستير	177	9,73
المجموع	1820	100

بناءا على البيانات المتوفرة من ادارة المعهد فان مجتمع الدراسة يتكوّن من ١٨٢٠ طالبا موزّعين بين ٧ أقسام في مستوى الإجازة (التربية والتعليم، العربية، الفرنسيّة، الأنقليزيّة، الإيطاليّة، الألمانية، الإسبانية) و ٦ تخصّات في مستوى الماجستير (ماجستير مهني أنقليزية الأعمال، ماجستير مهني أنقليزيّة الإعلام و الصحافة، ماجستير بحث تدريس الأنقليزية كلغة أجنبية، ماجستير بحث الألمانيّة، ماجستير بحث فرنسيّة، ماجستير مهني الفرنسية لغة أجنبية). نلاحظ أنّ هناك تفاوت في توزيع الطلاّب بين الأقسام ويستأثر قسم التربية والتعليم ب 38,52% من الإجمالي الكلّي للمسجّلين بالمعهد و 42,67% من إجمالي المسجّلين بالاجازة.

الجدول (2) : عيّنة الدراسة

الشّعبة	إجازة				ماجستير				المجموع	
	إناث	ذكور	إجمالي	% من الكلّي	إناث	ذكور	إجمالي	%من الكلّي	الإجمالي الكلّي	% من الكلّي
أنقليزيّة	54	12	66	20,95	6	3	9	2,86	75	23,81
تربية	123	18	141	44,76	–	–	–	–	141	44,76
عربيّة	24	12	36	11,43	–	–	–	–	36	11,43
فرنسيّة	27	27	54	17,14	6	3	9	2,86	63	20,00
الإجمالي	228	69	297	94,29	12	6	18	5,71	315	100

شارك في الاستبيان ٣١٥ طالبا أغلبهم من الإجازة (94,29%). وسجّل قسم التربية والتعليم أعلى نسبة مشاركة (44,76%) مع هيمنة الإناث (٧٦٪)، أغلب المستجوبين من الفئة العمريّة ٢٠-٢١ سنة.

٣- أداة الدراسة

إعتمدنا في هذه الدّراسة على استبيان استكشافي يحتوي على ١٩ بندا إظافة إلى بعض البيانات السوسيوديمغرافية وهو مستلّ من استبيان أشمل لدراسة لاحقة، حيث يهدف إلى: -

١- قياس مستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة لدى الطلاّب.

٢- فهم العلاقة بين الرّضا عن الظّروف الحياتيّة والمتغيّرات السوسيوديموغرافيّة.

٣- تحديد مصادر الضّغط والتّوتّر لدى عيّنة الدّراسة.

٤- تقييم جودة الحياة ومدى ارتباطها بالظّروف الحياتيّة وبالمسار الجامعيّ.

٥- تحديد الحاجيّات والمشكلات التي على المؤسّسة التدخّل فيها.

٤- الخصائص السيكومتريّة للاستبيان

١- الصدق الظاهري: تمّ عرض الإستبيان على ثلاث محكّمين ينتمون إلى هيئة التدريس بالمعهد العالي للغات بقابس و طالبين من كل اختصاص و من كلّ مستوى مناصفة ذكورا و اناثا و ذلك للتثبّت من وضوح الأسئلة و المفاهيم. تم ادخال بعض التعديلات فاتّسمت اسئلته المباشرة بوضوح العبارات. تمّ استخدام مقياس ليكرت من ٥ نقاط وهو مناسب للأسئلة التقييميّة. تميّز هذا الاستبيان بتسلسل منطقي بين بنوده.

٢- صدق المحتوى: غطّى الإستبيان أربعة مجالات: الخصائص السوسيوديمغرافية للمستجوبين، مستوى الرضا عن الظروف الحياتيّة و جودة الحياة، الرّضا عن التجربة الجامعية، المواقف والتوقعات.

٣- ثبات الأداة: لقياس ثبات الأداة تمّ قياس معامل الفا كرونباخ للاستبيان الكلّي. جميع البنود تظهر ارتباطا جيّدا بالدّرجة الكليّة، وتؤكّد معامل كرونباخ ألفا الكلي 0,880 موثوقية عالية للاستبيان و هو يترجم عن درجة عالية من الاتّساق الداخلي بين البنود.

*** الأساليب الإحصائيّة**

تم تحليل البيانات إحصائيّا باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) الإصدار ٢٣. و تم اللجوء إلى الأداة الإحصائيّة ANOVA لمقارنة المتوسّطات و معامل الارتباط Pearson.

*** جرد بيانات الاستبيان**

تمّ اعتماد مقياس ليكرت بخمس درجات ١-٥ حيث أنّ القيمة >٤ عالي، ٣-٤ متوسّط، <٣ منخفض. ولغاية التحليل الإحصائي تمّ تحويل مقياس الرّضا إلى مقياس رقمي (١: غير راض تماما، ٥ راض جدا) كما تمّ قياس جودة الحياة بنفس المقياس (١: ضعيفة جدا، ٥: جيدة جدا).

الجدول (٣): تحليل بنود الاستبيان

البند	المتوسّط	الانحراف المعياريّ	N	التفسير
المشاعر السلبيّة	4,22	1,15	315	ارتفاع مستوى مشاعر الخوف .تشتت متوسّط يدلّ على محدوديّة الاختلافات بين الطلاّب.
صورة الذّات	2,96	1,20	315	الاتّجاه قريب من الحياد . التقييم الذاتي متوسّط. تشتت متوسّط.
التوتّر المرتبط بالدّراسة	1,87	0,34	315	غالبيّة الطلاّب يعانون من التوتّر الدّراسيّ. تشتت ضعيف اتفاق غير محدود
مستوى التوتّر الحاليّ	4,26	0,92	273	مستوى التوتّر مرتفع. تشتت متوسّط.
الرّضا عن ظروف التّغذية	2,19	1,28	315	مستوى الرّضا منخفض. تشتت متوسّط.
الرّضا عن ظروف النّقل	2,12	1,55	315	مستوى الرّضا ضعيف جدا. تشتّت كبير.
الرّضا عن الوضع الماليّ	2,70	1,46	315	مستوى الرّضا متوسّط. تشتت كبير.
الرّضا عن السّكن	2,85	1,47	315	مستوى الرّضا متوسّط. الإتّجاه قريب من الحياد. تشتت كبير.
الرّضا عن الصّحّة	2,77	1,40	315	مستوى الرّضا عن الصّحّة متوسّط. تشتت كبير.
المحاوف من عدالة الخدمات الجامعيّة	4,35	1,11	315	مستوى المخاوف مرتفع جدا. تشتت متوسّط
تقييم جودة الحياة	2,86	1,13	315	مستوى جودة الحياة متوسط. تشتت متوسّط.
الرّضا عن اختيار الشّعبة / المؤسّسة	2,76	1,29	315	مستوى الرّضا عن الشعبة و المؤسّسة متوسّط. تشتت متوسّط.
الرّضا عن التّوازن بين الحياة الجامعيّة و الشّخصيّة	2,54	1,18	315	التّوازن مجهود إلى متوسّط. تشتت متوسّط.
مستوى الدّافعية للدّراسة	2,49	1,24	315	مستوى الدافعية منخفض. تشتت متوسّط.
تأثير البيئة العائليّة و الاجتماعيّة على المسار	4,02	1,35	315	إدراك قوي لتأثير العائلة والمحيط الإجتماعيّ. تشتت كبير.
مساهمة وسائل التّواصل في الإندماج	3,10	1,58	315	التأثير متوسّط. تشتت كبير.
مساهمة الدراسة في تحقيق الطّموحات	2,34	1,65	315	انعدام الثقة في جدوى الدّراسة. تشتّت كبير.
فرص العمل بعد التخرّج	3,47	1,39	315	توقّعات معتدلة إلى إيجابيّة. تشتت كبير.
الرّضا عن التّجربة الجامعيّة	2,49	1,24	315	مستوى الرّضا ضعيف. تشتت متوسّط.

كان عدد الاجابات (N) في أغلب البنود ٣١٥ ما عدا السؤال الخاص بتقييم مستوى التوتّر حيث أجاب ٢٧٣ فقط لأنّ بقيّة المستجوبين غير معنيّين.

*** الاتّجاهات العامّة للمتوسّطات**

تظهر النّتائج أنّ أغلبيّة الطلاّب أفادوا بتعرّضهم لمستويات مرتفعة من التوتّر الناتج عن الضّغوط الحياتيّة والدراسيّة وهو انعكاس لمستويات الرّضا عن الظّروف الحياتيّة، التي كانت معتدلة أو منخفضة، وللتجربة الجامعيّة وللدافعيّة اللتان كانتا أقلّ من المتوسّط وهو ينبئ بضعف في الإندماج والتحفيز. أمّا نظرة الطلاّب نحو المستقبل المهنيّ كانت متوسّطة، في حين تبيّن أنّ ثقتهم في تحقيق الدّراسة لطموحاتهم ضعيفة. كما ينظر الطلاّب إلى تأثير العائلة والعلاقات الاجتماعيّة على أنّه مرتفع جدا.

*** الانحراف المعياري ودلالة التشتت**

أظهرت مجموعة من البنود الخاصّة بالظّروف الحياتيّة ووسائل التواصل تشتتا كبيرا وهذا يدلّ على وجود اختلافات واضحة على مستوى الظّروف الحياتيّة بين الطلاّب. أمّا البنود المتعلّقة بالتوتّر الدراسيّ كانت أقلّ تشتتا وهو دليل على اتفاق الطلاّب حول وجود ضغوط حياتيّة ودراسيّة ملحوظة.

*** تحليل مستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة حسب الجنس والشعبة ومنطقة المنشأ**

تمّ تحليل مستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة (التّغذية، النّقل، الوضع المالي، السّكن، والصّحة) في علاقة بمتغيّرات الجنس والشّعبة، ومنطقة المنشأ (حضريّة أو ريفيّة). وتمّ تحويل إجابات مقياس ليكرت الخماسي من نصّية إلى رقميّة (١: غير راض تماما، ٢: غير راض، ٣:لا راض ولا غير راض، ٤:راض، ٥:راضٍ جدا) ليسهل احصاؤها. كما تمّ احتساب المتوسّطات والانحرافات المعياريّة، و عدد الاجابات (N)لكل بند، مع تفسير مشابه للخصائص السيكومترية المقدمة (مثل: رضا منخفض إذا كان المتوسط < ٣، تشتت متوسط إذا كان الانحراف ~١-1,5). كما تم إجراء اختبارات ANOVA للكشف عن الفروق الإحصائيّة المهمّة بين المجموعات (p-value < 0,05) الذي يشير إلى اختلاف معنوي.

الجدول (٤): مستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة حسب الجنس

البند	الجنس	المتوسّط	الانحراف المعياريّ	N	التّفسير
الرّضا عن التّغذية	الإناث	2,28	1,29	240	منخفض (أعلى قليلا من العام) مع تشتّت متوسّط
	الذكور	1,92	1,21	75	منخفض جدا (أقلّ من العام) مع تشتّت متوسّط
الرّضا عن النّقل	الإناث	2,12	1,55	240	ضعيف جدا (مطابق للعام) مع تشتّت كبير
	الذكور	2,12	1,55	75	ضعيف جدّا (مطابق) مع تشتّت كبير
الرّضا عن الوضع المالي	الإناث	2,75	1,46	240	متوسّط (أعلى قليلا) مع تشتّت كبير
	الذكور	2,54	1,43	75	منخفض (أقلّ) مع تشتّت كبير
الرّضا عن السّكن	الإناث	2,88	1,48	240	متوسّط (مطابق) مع تشتّت كبير
	الذكور	2,77	1,45	75	متوسط (أقلّ قليلا) مع تشتّت كبير
الرّضا عن الصّحة	الإناث	2,88	1,39	240	متوسّط (أعلى) مع تشتّت كبير
	الذكور	2,42	1,41	75	منخفض (أقلّ معنويا) مع تشتّت كبير

تضمّنت العينة ٢٤٠ طالبة و ٧٥ طالبا. اتضح من اختبار الاختلافات الإحصائيّة (ANOVA) أنّها معنويّة في التّغذية (p=0,035) و الصّحة (p=0,001) و غير معنويّة في النّقل و في الوضعيّة الماليّة و السّكن. نستنتج أنّ الطالبات أكثر رضا عامّا، خاصّة في التّغذية والصّحة (اختلاف معنوي). يعكس ذلك تأثيرا جندريّا محدودا وينطبق مع الخصائص العامّة للتّشتّت.

الجدول (٥): مستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة حسب الشّعبة

البند	الشعبة	المتوسّط	الانحراف المعياريّ	N	التّفسير
الرّضاعن التّغذية	الانقليزيّة	2,56	1,34	75	متوسّط منخفض (أعلى من العام) مع تشتّت متوسّط
	التّربية	2,28	1,29	141	منخفض (مطابق للعام) مع تشتّت متوسّط
	العربيّة	1,00	0,00	36	منخفض جدا (أقلّ معنويا، اتفاق تام) مع تشتّت صفريّ
	الفرنسيّة	2,24	1,29	63	منخفض (مطابق) مع تشتّت متوسّط.
الرّضاعن النّقل	الانقليزيّة	2,92	1,58	75	متوسّط (أعلى) مع تشتّت كبير
	التّربية	2,11	1,55	141	ضعيف (مطابق) مع تشتّت كبير
	العربيّة	1,00	0,00	36	ضعيف جدا (أقلّ) مع تشتّت صفريّ
	الفرنسيّة	2,38	1,56	63	ضعيف (أعلى قليلا) مع تشتّت كبير
الرّضاعن الوضع المالي	الانقليزيّة	3,48	1,23	75	متوسط إيجابي (أعلى معنويا) مع تشتّت متوسّط
	التّربية	2,70	1,46	141	متوسّط (مطابق) مع تشتّت كبير
	العربيّة	1,00	0,00	36	منخفض جدا (أقلّ) مع تشتّت صفريّ
	الفرنسيّة	3,06	1,42	63	متوسّط (أعلى) مع تشتّت كبير
الرّضاعن السّكن	الانقليزيّة	3,64	1,29	75	إيجابي (أعلى) مع تشتّت متوسّط
	التّربية	2,82	1,48	141	متوسّط (مطابق) مع تشتّت كبير
	العربيّة	1,00	0,00	36	منخفض جدا (أقلّ) مع تشتّت صفريّ
	الفرنسيّة	3,39	1,35	63	متوسّط إيجابي (أعلى) مع تشتّت متوسّط
الرّضاعن الصّحة	الانقليزيّة	3,92	1,08	75	إيجابي (أعلى معنويّا) مع تشتّت متوسّط
	التّربية	2,69	1,40	141	متوسّط (مطابق) مع تشتّت كبير
	العربيّة	1,00	0,00	36	منخفض جدا (أقلّ) مع تشتّت صفريّ
	الفرنسيّة	3,12	1,36	63	متوسط (أعلى) مع تشتّت كبير

تظمّنت العيّنة طلاّبا مسجّلين في أربع شعب و هي الأنقليزيّة (٧٥) و التربية و التعليم (١٤١) و العربيّة (٣٥) و الفرنسيّة (٦٣).تم حساب N لشعبتي الأنقليزيّة و الفرنسيّة لمستويي الإجازة و الماجستير اما شعبتي العربيّة و التربية و التعليم فقد شارك طلاب الإجازة فقط. كانت الفروق الإحصائيّة :(ANOVA) معنويّة في معظم البنود (p<0,001).بناء على ما سبق تستنتج أنّ طلاّب شعبة العربيّة يظهرون رضا عن الظروف الحياتيّة أقلّ من المستوى العام بكثير (معنوي) ، بينما طلاّب شعبة الانقليزيّة يصرّحون برضا أعلى. هذا يشير إلى تأثير قويّ للشّعبة، مع تشتّت أقلّ في العربيّة (اتّفاق كبير على السّلبيّة).

الجدول (٦): مستوى الرضا عن الظروف الحياتيّة حسب منطقة المنشأ

البند	المنطقة	المتوسّط	الانحراف المعياريّ	N	التّفسير
الرّضا عن التّغذية	حضريّة	2,51	1,36	177	متوسّط منخفض (أعلى من العام) مع تشتّت كبير
	ريفيّة	1,78	0,99	138	منخفض جدّا (أقل معنوي) مع تشتّت متوسّط
الرّضا عن النّقل	حضريّة	2,13	1,55	177	ضعيف (مطابق) مع تشتّت كبير
	ريفيّة	2,12	1,55	138	ضعيف (مطابق) مع تشتّت كبير
الرّضا عن الوضع المالي	حضريّة	3,08	1,43	177	متوسّط إيجابيّ (أعلى معنوي) مع تشتّت كبير
	ريفيّة	2,20	1,34	138	منخفض (أقلّ) مع تشتّت متوسّط
الرّضا عن السّكن	حضريّة	3,36	1,38	177	إيجابيّ (أعلى) مع تشتّت كبير
	ريفيّة	2,20	1,34	138	منخفض (أقلّ) مع تشتّت متوسّط
الرّضا عن الصّحة	حضريّة	3,00	1,40	177	متوسّط (أعلى) مع تشتّت كبير
	ريفيّة	2,46	1,36	138	منخفض (أقلّ) مع تشتّت كبير

يبلغ عدد الطلاّب المنحدرين من مناطق حضريّة ١٧٧ في حين من مناطق ريفيّة ١٣٨. كانت التباينات الإحصائيّة (ANOVA) معنويّة في ظروف التّغذية و السّكن و الصّحّة و في الوضع المالي (p=0,001) و غير معنويّة في ظروف النّقل.تظهر النتائج أنّ الطلاّب المنحدرين من مناطق حضرية يبدون رضا أعلى في معظم البنود (معنوي)، بينما نظرائهم من المناطق الريفيّة أقلّ رضا عن الظروف السّكنيّة و الوضع المالي. أمّا في يخصّ ظروف التّغذية فإنّ التشتّت مطابق للعام لكنّه أقلّ للمجموعة الثانية.

*** تحليل مستوى الرّضا عن جودة الحياة حسب الجنس والشعبة ومنطقة المنشأ**

تمّ تحليل مستوى الرّضا عن جودة الحياة في علاقتها بمتغيّرات الجنس والشّعبة ومنطقة المنشأ (حضريّة أو ريفيّة). تمّ تحويل إجابات مقياس ليكرت الخماسي من نصّية إلى رقميّة (١: ضعيفة جدا، ٢: ضعيفة، ٣: ليست ضعيفة ولا جيّدة، ٤: جيّدة، ٥: جيّدة جدا) لتسهيل عمليّة الإحصاء. تمّ احتساب المتوسّطات والانحرافات المعياريّة، و عدد الاجابات (N)لكل بند، مع تفسير مشابه للخصائص السيكومترية المقدمة (مثل: رضا منخفض إذا كان المتوسط < ٣، تشتت متوسط إذا كان الانحراف ~١-1,5). كما تم إجراء اختبارات ANOVA للكشف عن الفروق الإحصائيّة المهمّة بين المجموعات (p-value < 0,05) الذي يشير إلى اختلاف معنوي.

الجدول (٧): مستوى الرضا عن جودة الحياة حسب الجنس والشعبة ومنطقة المنشأ

البند	المتغيّر	الجنس	المتوسّط	الانحراف المعياريّ	N	التّفسير
جودة الحياة	الجنس	اناث	2,99	1,09	240	متوسّطة و أعلى قليلا من المعدل، تتّجه نحو الجيّد مع تشتّت متوسّط
		ذكور	2,44	1,14	75	منخفضة و أقلّ معنويا من العام و الإناث مع تشتّت متوسّط
	الشعبة	التربية	3,19	0,94	141	متوسّطة إيجابيّة و أعلى من العام مع تشتّت متوسّط (أقلّ تنوّعا)
		الفرنسيّة	3,05	1,18	63	متوسّطة و قريبة من العام، تتجه نحو الإيجابي مع تشتّت متوسّط
		الإنقليزيّة	2,88	0,87	75	متوسّطة و مطابقة للعام مع تشتّت متوسّط (أقلّ تنوعا)
		العربيّة	1,17	0,56	36	منخفضة جدا و أقلّ معنويا من الباقي مع تشتّت ضعيف و اتّفاق كبير على السّلبيّة
	المنطقة	حضريّة	3,05	1,05	177	متوسّطة إيجابيّة و أعلى معنويا من العام مع تشتّت متوسّط
		ريفيّة	2,61	1,17	138	منخفضة إلى متوسّطة و أقلّ من العام مع تشتّت متوسّط.

*** التّحليل حسب الجنس**

التباينات الإحصائية (ANOVA) معنويّة. ; (p=0,0002 F=14,06)

أظهرت الطالبات تقييما أعلى لجودة الحياة مقارنة بالطّلاّب (اختلاف معنويّ)، هذا دليل عن تأثير جندري واضح. في حين كان التشتّت مطابقا للعام ما يعكس تنوّعا ضعيفا في الآراء داخل كلّ مجموعة.

*** التحليل حسب الشعبة**

التباينات الإحصائيّة (ANOVA) معنويّة جدا (p=0,0000 ; F=45,17)

أظهرت شعبة العربيّة تقييما أقلّ بكثير من العام (معنوي)، في حين كان لشعبتي التّربية والتعليم والفرنسيّة تقييما أعلى. هذا يدلّ على تأثير قويّ لمتغيّر الشّعبة، مع تشتّت أقلّ في العربيّة واتّفاق أوضح على التقييم السلبيّ.

*** التّحليل حسب المنطقة**

التّباينات الإحصائيّة (ANOVA) معنويّة (p=0,0005 ; F=12,38)

أبدا الطلاّب المنحدرين من المناطق الحضريّة تقييما أعلى من العام لجودة الحياة، بينما القادمون من المناطق الريفيّة كان التقييم أقلّ. يبرز التشتّت مشابها للعام، لكنّه يعكس تنوّعا أكبر عند المحموعة الثانية.

*** تأثير الظروف الحياتية في جودة الحياة**

الجدول (٨): تأثير الظروف الحياتيّة في جودة الحياة

المؤشّر	القيمة	التّفسير	التأثير
الرّضاعن الظّروف الصحيّة	2,77	متوسّط مع تشتت واضح	مباشر ،الصحّة الجيّدة ترفع جودة الحياة
الرّضاعن ظروف النّقل	2,12	ضعيف جدا مع تشتت كبير	سلبي قويّ،النقل السيّئ يخفض جودة الحياة بشكل واضح
الرّضاعن ظروف السّكن	2,85	متوسّط مع تشتّت كبير	تفاعل مباشر. السكن الجيد يرفع جودة الحياة والعكس صحيح
الرّضاعن الوضع المالي	2,70	متوسّط مع تشتت كبير	سلبيّ و متفاوت. الطلاّب ذوو الصّعوبات المالّية يعانون جودة حياة ضعيفة
الرّضاعن ظروف التّعلمية	2,19	منخفض	سلبيّ. ضعف التّعلمية يخفّض جودة الحياة

*** تأثير التّغذية في جودة الحياة**

تظهر النّتائج أن رضا الطلاّب عن الظّروف الغذائيّة منخفض (2,19)، مع تشتت متوسّط في الإجابات. هذا يدلّ على أنّ أغلب المستجيبين صرّحوا بأنّهم لا يتّبعون نظاما غذائيا صحيا أو مناسبا، والذي قد يكون له انعكاسات مباشرة على مستويات الطّاقة والرّاحة الجسديّة والقدرة على التّركيز. و بما أنّ جودة الحياة العامّة متوسّطة (2,86)، فمن الواضح أنّ ضعف النظام الغذائي يساهم في خفض تقييم الطلاّب لجودة حياتهم.

*** تأثير الوضع الماليّ في جودة الحياة**

يبدو من خلال جرد البيانات أنّ الرّضا عن الوضعيّة الماليّة متوسّط (2,70) لكن الانحراف المعياريّ الكبير يدلّ إلى تفاوتات بين الطلاّب. فالذين يشكون من المشاكل الماليّة يجدون أنفسهم غير قادرين على مجابهة المتطلّبات اليوميّة ممّا قد يؤثّر على راحتهم النفسيّة والشّعور بالأمان. هذا التّباين يجعل الوضعيّة الماليّة أحد أكثر العوامل المؤثّرة في تدنّي جودة الحياة.

*** تأثير السّكن في جودة الحياة**

مؤشّر الرّضا عن السكن جاء متوسّطا (2,85) مع تشتّت كبير وهو دليل على أنّ بعض الطلاّب يتمتّعون بوضعيّة سكنيّة مريحة، بينما يشكو البعض الآخر من الاكتظاظ أو البعد عن المؤسّسة والخدمات أو انعدام الهدوء والاستقرار. وبما أنّ جودة الحياة نفسها عند مستوى متوسّط، فهذا يدلّ على أنّ الظّروف السّكنيّة تلعب دورا هامّا في شعور الطالب بالرّاحة وتصوراته لحياته اليوميّة.

*** تأثير النّقل في جودة الحياة**

حسب بيانات الإستبيان بدت ظروف النّقل أضعف المؤشّرات (2,12)، وحيث دلّ التشتّت الكبير أنّ أغلب الطلاّب يشكون مشاكل في التنقّل مثل طول المسافة بين السكن والمعهد وضعف أسطول النّقل العمومي الذي انعكس على عدم انتظام الخدمات وارتفاع التّكلفة. تبرز ظروف النّقل كأبرز محدّدات ضعف جودة الحياة فهي تسبّب إجهادا جسديّا ونفسيّا وفقدان الوقت إضافة لإمكانيّة التغيّب عن الدّروس والتقييمات.

*** تأثير الصّحّة في جودة الحياة**

يظهر مستوى الرّضا عن الظروف الصحّية متوسّط (2,77) بينما الانحراف المعياريّ كبير، وهو دليل على معاناة الطلاّب من مشكلات صحيّة مؤثّرة. عامل الصّحّة يلعب دورا أساسيّا في مستوى الرفاهيّة العامّة، وبالتّالي فإنّ التّباين الصّحّي بين الطلاّب له انعكاسات كبيرة ومباشرة على جودة الحياة خصوصا في ظلّ مستويات مرتفعة من التّوتّر التي تمّ رصدها من خلال الإستبيان.

*** تأثير جودة الحياة في المسار الجامعي**

لجدول (٩):تأثير جودة الحياة في المسار الجامعي

المؤشّر	القيمة	التّفسير
جودة الحياة	2,86	متوسّطة
الدّافعيّة للدّراسة	2,49	منخفضة
التوتّر الدّراسيّ	4,26	مرتفع
الثّقة في المستقبل	2,34	منخفضة
التّأثير	سلبيّ	جودة الحياة المتوسّطة توتّر سلبا في الدّافعيّة والتّجربة الجامعيّة

يتضح من خلال الجدول أنّ مؤشّر جودة الحياة متوسّط (2,86) في حين أنّ ارتفاع مستوى التوتّر (4,26) وانخفاض مستوى الرضا عن التّجربة الجامعية (2,49) يدلاّن

على أنّ حياة الطلاّب اليوميّة غير مستقرّة بشكل كاف كي تكون دعامة للمسار الجامعي. هذه الظّروف تنعكس في انخفاض الدّافعية (2.49) وانعدام الثّقة في تحقيق الطّموحات (2,34) ممّا يؤكّد وجود انعكاس مباشر لجودة الحياة على الأداء ومسار تطورّه الأكاديميّ.

*** مناقشة نتائج الدراسة**

١- مناقشة النّتائج في ضوء الإطار النّظري

*** نظريّة ماسلو للحاجات الإنسانيّة (Maslow, 1943)**

ترتّب هذه النظريّة الحاجات البشريّة في هرم أين يجب الاستجابة للحاجات الأساسيّة (الفسيولوجيّة مثل التّغذية والصّحة، والأمان مثل الوضعيّة الماليّة والسّكن) قبل بلوغ الحاجات العليا (الإنتماء الاجتماعيّ، التّقدير الذاتيّ، وتحقيق الذّات). كشفت بيانات الإستبيان الرّضا المنخفض عن التّغذية (2,19) و النّقل (2,12) و الوضعيّة الماليّة (2,70) و السّكن (2,85) و أنّ الحاجات الأساسيّة غير ملبّاة بالقدر المطلوب ممّا يعرقل بلوغ الحاجات العليا مثل الدّافعيّة للدّراسة (متوسّط 2,49) و التّوازن بين الحياة الجامعيّة و الشّخصيّة (2,54). من ذلك الإرتباط القويّ بين جودة الحياة و ظروف التّغذية (r=0,651) و الصحة (r=0,643) يدعم فكرة ماسلو بأنّ عدم الإستجابة للحاجات الفسيولوجيّة يقود إلى ارتفاع مستوى التوتّر (متوسّط 4,26) و المشاعر السلبيّة كالخوف و القلق (4,22)، ممّا يقلّل من الرّضا العام عن التّجربة الجامعيّة (2,49). هذا يفسّر التفاوتات حسب منطقة منشأ الطّالب (الريفيّة أقلّ رضا) والشّعبة المسجّل بها (العربيّة أقلّ رضا)، بالإضافة إلى أنّ الحاجات الأساسيّة تكون أكثر تحدّيا و أكبر وقعا في سياق اقتصاديّ و اجتماعي هش. و عليه، تؤيّد نتائج الدّراسة هذه النظريّة التي تؤكّد أنّ تجويد الظروف الحياتيّة و الاستجابة الفوريّة و الفعّالة لحاجات الطالب الأساسيّة ضروريّ لتعزيز الدّافعية للدّراسة و المثابرة عليها و تحقيق الذّات.

*** النّظريّة البيئيّة للنّظم (Bronfenbrenner, 1979)**

تعتبر هذه النّظريّة أنّ التّطوّر البشريّ نتاج تفاعل بين الفرد و النظم البيئيّة المحيطة به: الميكروسبستم (الأسرة و الأصدقاء) و الميزوسيستم (التفاعل بين عناصر الميكروسيستم مثل علاقة الأسرة بالجامعة) و الإكزوسيستم (السياسة الاجتماعيّة)، الماكروسيستم (الثّقافة السائدة و الإقتصاد)، و الكرونوسيستم (التغيّرات الزّمنية و ما تشمله من أحداث). لقد أظهرت النتائج تأثيرا بيئيّا واضحا حيث يؤثّر الإعتقاد بتأثير البيئة العائليّة و الإجتماعيّة (متوسّط 4,02) وسائل التّواصل (متوسّط 3,10) في الإندماج الاكاديمي و الإجتماعي للطالب. أمّا الإرتباط السّلبيّ الضّعيف بين جودة الحياة و تأثير البيئة العائليّة (r=-0,098;coef=-0,069) يدلّ إلى أنّ الضّغوط من النّظام الميكرو (مثل المنطقة الريفيّة حيث الرّضا أقلّ) قد تزيد العبء بينما النّظام الإكزو (مثل السّياسات الماليّة أو ظروف النّقل) يفسّر الرّضا المنخفض عن ظروف النّقل (2,12). كما أنّ التباينات حسب الشّعبة (العربيّة أقلّ جودة حياة، متوسّط 1,17) تظهر تأثير النّظام الماكرو (الثّقافة التعليميّة في تونس)، والكرونو (الثورة و ما تبعها من تحوّلات سياسيّة و اقتصاديّة و الازمة الصحيّة الكوفيد) على الظروف الحياتيّة و على جودة الحياة . هذا

يتّفق مع النّظرية بأنّ تجويد التّفاعلات البيئيّة (مثل تطوير الإندماج عبر وسائل التّواصل (coef=0,103) يعزّز الجودة (متوسّط 2,86) و الرّضا عن الطّموحات (2,34).

*** نظريّة العبء المعرفي (Sweller, 1988)**

تفرّق هذه النظريّة العبء المعرفيّ بين الدّاخلي (تعقيد المهامّ) و الخارجيّ (الطّرق التعليميّة) و الذّاتيّ (المعارف السّابقة). تستنتج من نتائج الدراسة أنّ ارتفاع مستوى التّوتّر (4,26) والمشاعر السلبيّة (4,22) يعكسان عبئا خارجيّا مرتفعا من الظّروف الحياتيّة المثبطة، ممّا يقلّل من الدّافعيّة (2,49) و الرّضا عن التّجربة الجّامعيّة (2,49). فالإرتباط السلبيّ بين جودة الحياة و التوتّر (r=– 0,408) و المشاعر السّلبيّة (r=–0,493 ; coef=–0,235) يدعم فكرة أن العبء الخارجي (مثل انخفاض الرّضا عن النّقل و الدّخل) يعمّق العبء المعرفيّ، ممّا يحدّ من التّعلّم و التّوازن (r=0,698, coef=0,289)مع تباين جندري (أقلّ جودة لدى الذّكور) و بين المصفوفات التخصّصيّة Disciplinary matrix (شعبةالانقليزيّة أعلى) ممّا يدلّ على عبء داخليّ متفاوت، أين تبدو بعض الشّعب أكثر تعقيدا. هذا يتفق مع النّظرية بأنّ خفض العبء الخارجيّ مثل تحسين الظّروف الصّحّيّة (r=0.643) يعزّز الموارد المعرفيّة للدّافعيّة و الطّموحات ; r=0,382). coef=0,108)

٢- مناقشة النّتائج في ضوء الدّراسات السّابقة

*** دراسة OVE 2023 (Observatoire de la Vie Étudiante)**

رصدت هذه الدّراسة لدى الطلاّب الفرنسيّين مستوى رضا متوسّطا عن الظروف المعيشيّة، مع ارتفاع منسوب التوتّر أثناء و عقب جائحة الكوفيد، و ارتباطا كبيرا بين الرّضا الماليّ و الأداء الدراسيّ. نتائج استبياننا تتّفق جزئيّا مع ما توصّلت إليه هذه الدراسة حيث الرّضا المنخفض عن التغذية والنقل مشابه لما وجد في OVE 2020 (الخاص بتأثير جائحة الكوفيد)، لكنّ التوتّر كان أعلى في دراستنا (4,26) بيد أنّ في الدراسة الفرنسيّة كان متوسّطا. هذا التباين مردّه إلى خصوصيّة السّياق التّونسي (هشاشة إقتصاديّة وإجتماعيّة)، ممّا يعزّز ضرورة الدّعم المؤسّسي للطلاّب وخاصّة تحسين الوضعيّة الماليّة كما اقترحه مرصد الحياة الطلاّبية الفرنسيّ.

*** Michaut 2023**

نستنتج أنّ نتائجنا تتوافق إلى حدّ ما مع هذه الدّراسة حيث أكّدت على أنّ الظّروف الحياتية كالدّخل والسّكن يمكن أن يحدّد النّجاح بالجامعة إذ إنّ انخفاض الرّضا عن هذه الجوانب يرتبط سلبا بعاملي الدّافعيّة والتّوتّر، مثلما أكّد الباحث الفرنسي أنّ إرتفاع الفقر لدى الطالب يزيد من مخاطر فشله الجامعي. كما يدلّ الارتباط بين جودة الحياة والمسار الجامعيّ على الجانب الذاتيّ للنّجاح. كما يدعو الباحث إلى مضاعفة الجهود وآليّات التدخّل للحدّ من عوامل التّوتّر وتعزيز الرّضا. وبالرغم من هذا تعكس نتائج هذه

الدّراسة خصوصيّات تونسيّة غير مباشرة في الدّراسة الفرنسيّة، مثل التأثير القوي لمنطقة المنشأ (الرّضا أقلّ لدى لمنحدرين من الرّيف) وللشعبة (الرّضا أقلّ لدى المنتسبين إلى شعبة العربيّة).

*** دراسة Amamou & al. (2023)**

كشفت الدّراسة التونسيّة عن ظاهرة الاكتئاب لدى طلاّب الطبّ في تونس حيث بلغ انتشاره حوالي ٤٠٪ من جملة المسجّلين بهذه الشّعبة وكان في ارتباط وثيق بالتوتّر وبالجنس (الطالبات أعلى اكتئابا). فنتائج دراستنا تتفق معها تماما، في خصوص ارتفاع مشاعر القلق و الخوف (٤.٢٢) بالرغم من ارتفاع مستوى الرّضا لديهم عن جودة الحياة (2,99) مقارنة بالذكور (2,44)، إلاّ أنّ التّوتر في ارتباط سلبيّ بالجودة (r=-0,408). بينما اهتمّ بحثهم على طلاّب شعبة الطب كانت أداة بحثنا شاملة لعدّة تخصّصات لكن كلى الدراستين تدعو لمضاعفة الدّعم النّفسي.

*** دراسة Goldrick-Rab & al. (2017)**

كشفت الدّراسة الأمريكيّة عن مستويات مرتفعة (٢٠-٥٠٪) عن عدم الأمان الغذائي لدى الطلاّب الأمريكيّين المرتبطة بالظروف الصحّية وبالأداء الدراسي. نتائج دراستنا تتّفق معها في انخفاض مستوى الرّضا عن الظروف الغذائيّة (2,19) وارتباطها القويّ مع جودة الحياة (r=0,651 ; coef=0,229) ممّا يدلّ على تأثير مشابه. يكمن التباين بين الدراستين أنّ الأمريكيّة تركّز على عامل الفقر، بينما دراستنا تضيف عوامل بيئيّة أخرى كالمنشأ. حيث الطلاّب المنحدرين من الريف تبدو جودة الحياة لديهم أقلّ مستوى، لكن كلا الدراستين تدعوان لتوسيع مجهودات دعم ظروف التّغذية.

يظهر من خلال النّتائج اتّساقها التامّ مع الأطر النّظريّة المعتمدة في هذه الدراسة. حيث اتّضح جليّا ظرورة الإستجابة للحاجات الأساسيّة للطالب (ماسلو) واسناد البيئات ودعمها (برونفنبرونر) وتخفيف العبء المعرفي عنه (سولر) لتجويد حياته من ناحية ولتحقيق مشروع الجودة الشاملة الذي تتبنّاه الجامعات التونسيّة من ناحية أخرى. أما بالمقارنة بالدّراسات الأوروبية والأمريكيّة والتونسيّة، تكشف نتائج الدراسة تشابها في ارتفاع مستوى التوتّر وانخفاض الرّضا عن الظروف الحياتيّة بالرغم من خصوصيّة السياق التونسي. وعليه وجب وضع سياسات محليّة للدّعم النفسي والمادّي.

٣- مناقشة النتائج في ضوء فرضيّات الدراسة

بالنسبة للفرضيّة الأولى التي تسلّم بأنّ جودة الحياة في ارتباط وثيق بالظّروف الحياتيّة تأكّدت بقوّة. فقد كشفت نتائجها عن الإرتباط الإيجابي القويّ بين الرّضا عن مختلف الظّروف الحياتيّة مثل التّغذية والصّحّة والدّخل والنّقل وجودة الحياة بشكل عام. وعليه فإنّ تحسّن جودة الحياة لدى الطالب في ارتباط مباشر ووثيق بتحسين مستوى الرّضا عن ظروف حياته وهو دليل على مركزيّتها في تشكيل رفاهيّته.

أمّا بخصوص الفرضيّة الثانية التي تقرّ بتأثير مستوى جودة الحياة في المسار الجامعي فقد تمّ تأكيد صوابها. فالنّتائج أظهرت تأثيرا إيجابيّا قويّا لجودة الحياة على جوانب المسار الجامعي، مثل التّوازن بين الحياة الجامعيّة والشخصيّة، والدّافعية للدّراسة، والرّضا عن التّجربة الجامعيّة ككلّ. كما أظهرت

تأثيرا سلبيّا في مشاعر الخوف والقلق والتوتّر. بناءا عليه فإنّ جودة حياة أمثل تدعم التركيز الدراسيّ وتحدّ من وقع الضّغوط.

فيما يتعلّق بالفرضيّة الثالثة التي طرحت بأنّ جودة الحياة هي متغيّر وسيط بين الظروف الحياتيّة والمسار الجامعي فقد أكّدت النتائج صحتها جزئيّا. فلا يمكن انكار حقيقة أنّ النتائج كشفت عن دور الوساطة الجزئيّة لجودة الحياة، حيث تنقل الظّروف الحياتيّة تأثيرها إلى المسار الجامعي من خلال تعزيز الرفاهيّة العامّة. ومثال على ذلك، الرّضا عن الظّروف يحسّن الجودة، التي بدورها تخفض التوتّر وترفع الدّافعيّة، لكن إلى حدّ ما. وهو ما يتّفق مع النّظريات البيئيّة التي تؤكّد على وساطة الرّفاهيّة (Well-being) بين العوامل الخارجيّة و أداء الفرد.

*** التوصيات**

بناء على النّتائج تقترح هذه الدّراسة بعض الإجراءات والتوصيات التي تهدف إلى تحسين رضا الطالب عن الظّروف الحياتيّة وعن جودة حياة وتحسين أدائه الأكاديمي: –

١– مضاعفة ميزانيّة وزارة التعليم العالي لتذليل الصعوبات الماليّة التي تمرّ بها مؤسسات الخدمات الجامعيّة والتي تمنعها من تجويد خدماتها.

٢– تضمين فصول في ميزانيّات الوزارات المتداخلة في الشأن التربوي كالصحة والشؤون الاجتماعيّة تخصص لدعم آليات الاحاطة و اسناد الطلاّب.

٣– دعم الظّروف الحياتيّة الأساسية مثل توفير برامج غذائيّة مدعّمة مثل البنوك الغذائيّة التي تقدّم وجبات مجّانية لأكثر الوضعيات هشاشة حسب مقاييس يتم ضبطها مع وزارة الشؤون الإجتماعيّة والمجتمع المدني. بالإضافة تحسين خدمات النّقل بعقد اتفاقيّات مع مؤسّسات النّقل الخاصّ. تهدف هذه الإجراءات إلى الإستجابة للحاجات الأساسيّة للطلاّب.

٤– تعزيز الصحّة النفسيّة بإحداث مراكز للاستشارات النفسيّة يؤمّنها مختصّون وتكون مجانيّة تهدف إلى مواجهة التوتّر وتتخلّلها برامج مرافقة وتدريب على التّوازن بين الحياة الجامعيّة والشخصيّة. إضافة إلى احداث خطط الإرشاد النفسي والإجتماعي داخل كل مؤسّسة تعليميّة لتقريب المرافقة للطالب و تخفيف العبء آنيّا.

٥– تحسين الاندماج الاجتماعي والأكاديمي للطالب باحداث ورشات عمل أو دورات تدريبيّة يكون هدفها دعم ثقة الطالب في تحقيق طموحاته بكلّ فاعليّة وواقعيّة، مع التركيز على الشعب ذات الرضا المنخفض كالعربية والتي تتسم بضعف الآفاق التشغيليّة.

٦– الرفع من قيمة وحصص المنح الجامعيّة والمساعدات الماليّة وخلق مواطن شغل وقتيّة للطلاّب داخل المؤسسات التعليمية ومؤسّسات الخدمات الجامعيّة وبعدد ساعات محدّدة ولا تتعارض مع الزمن المدرسي. هذا من شانه ان يخلق له دخلا إضافيا ويسرّع من اندماجه في بيئته الجامعيّة واكتساب مهارات أخرى غير التي يكتسبها داخل الفصل بالإضافة إلى تكشّفه على واقع الحياة المهنيّة وقدرته على تنسيب الطموحات الشخصيّة.

*** الخاتمة**

أظهرت هذه الدراسة أنّ المسار الجامعي لا تحدّده الظّروف الدراسيّة وحدها بل لظّروف الحياتيّة دور لا يستهان به. فقد كشفت نتائجها عن التّحدّيات الكبيرة التي يواجهها طلاّب المعهد والتي تجلّت في الانخفاض الملحوظ لمستوى الرّضا عن الظّروف الحياتيّة وارتفاع منسوب التوتّر لديهم وهو ما أثّر سلبا على جودة الحياة والمسار الجامعي. غير أنّ، هذه العلاقة الارتباطيّة المتينة فرصة للتدخّل الناجع. إذ إنّ تجويد الظّروف الحياتيّة يعزّز دافعيّة الطالب واندماجه الإجتماعي والأكاديمي. تتوافق نتائج الدراسة مع الإطار النّظري حيث ترنو إلى شموليّة المقاربة بجمعها بين الحاجات الأساسيّة الفرديّة والبيئات المحيطة، والعبء المعرفيّ. في النّهاية، تطمح هذه الدراسة إلى توجيه السياسات التعليميّة في تونس نحو خلق بيئة دراسيّة دامجة وأكثر دعما، ممّا يسهم في تحقيق الطالب لمشروعه الدراسي والمهني وخفض الفجوات الاجتماعيّة. كانت هذه الدراسة الاستكشافيّة نقطة انطلاق لبحث مستقبلي بإجراء دراسة نوعيّية طولية تعتمد منهجا مختلطا لقياس التغييرات الزمنية في ظروف الطالب و في مساره عبر تقنية cohort follow-up، و السعي لتعميمها على جامعات أخرى و إجراء المقارنات الممكنة ضمن مقاربة منظوميّة أشمل محاولة لفهم و تفسير تعقيد المسار الجامعي المتعدّد الأبعاد.

*** المراجع**

اولاً- المراع العربيّة

البنك الإسلامي للتنمية (٢٠٢١). التقرير السنوي ٢٠٢١

https://www.isdb.org/ar/publications/altqryr-alsnwy-2021

البنك الدولي للتنمية (٢٠٢١) تقرير التنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

https://www.iadb.org/en

وزارة التعليم العالي. (٢٠٢٢).التقرير السنوي للتعليم العالي

https://www.mesrs.tn/

وزارة التعليم العالي. (٢٠٢٤).مؤشرات الطلبة والتعليم العالي.

https://www.mesrs.tn/

ثانياً- المراجع الأجنبيّة

Amamou B, & al. (2022). Stress, anxiety, and depression among students at the Faculty of Medicine of Sousse (Tunisia). Tunis Med. 2022 avril;100(4):346-352. English. PMID: 36155907; PMCID: PMC9477150.

Bronfenbrenner, U. (1979). The ecology of human development: Experiments by nature and design. Harvard University Press.

Maslow, A. H. (1943). A theory of human motivation. Psychological Review, 50(4), 370–396.
https://doi.org/10.1037/h0054346
Mercier, C. & Filion, J. (1987). La qualité de la vie : perspectives théoriques et empiriques. Santé mentale au Québec, 12(1), 135–143.
https://id.erudit.org/iderudit/030380ar
Michaut, C. (2023). État des recherches en économie et en sociologie sur la réussite universitaire. Recherches en éducation, 52.
OECD. (2022). Education at a Glance 2022.
https://doi.org/10.1787/69096873-en
OECD. (2023). Well-being and skills in higher education.
https://www.oecd.org/education/
Observatoire de la Vie Étudiante. (2023). Conditions de vie des étudiants en France.
https://www.ove-national.education.fr/
Pacione, M. (2003). Urban environmental quality and human wellbeing—A social geographical perspective. Landscape and Urban Planning, 65, 19–30.
https://www.hup.harvard.edu/books/9780674224575
Dodd, A., Ward, J. (Ed.), & Byrom, N. (2022). Measuring wellbeing in the student population. King's College London.
Goldrick-Rab, S., Richardson, J., & Hernández, A. (2017). Hungry and homeless in college: Results from a national study of basic needs insecurity in higher education. Wisconsin HOPE Lab.
https://hdl.handle.net/10919/83028
Khatri, P., & al. (2024). Student well-being in higher education: Scale development and validation with implications for management education. The International Journal of Management Education, 22(1), 100933.
https://doi.org/10.1016/j.ijme.2024.100933
Li, W., & al. (2022). Prevalence of depression and anxiety among university students: A systematic review and meta-analysis.
https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/35297041/

https://doi.org/10.1016/S0169-2046(02)00234-7

Sweller, J. (1988). Cognitive load during problem solving: Effects on learning. Cognitive Science, 12(2), 257–285.

Tinto, V. (1993). Leaving college: Rethinking the causes and cures of student attrition. University of Chicago Press.

United Nations Economic and Social Commission for Western Asia. (2022). Survey of economic and social developments in the Arab region 2021–2022. UN ESCWA. https://www.unescwa.org/

World Bank. (2020). World Development Report 2020. https://www.worldbank.org/

World Health Organization. (2013). Social determinants of health: The solid facts (2nd ed.). World Health Organization.

World Health Organization. (2022). Global student health and well-being report. https://www.who.int/

WHOQOL Group. (1995). The World Health Organization Quality of Life assessment (WHOQOL): Position paper by the WHOQOL Group. Social Science & Medicine, 41(10), 1403–1409. https://doi.org/10.1016/0277-9536(95)00112-K